ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index
مجلة الأصالة

حُســـن الظـــــنّ بالله ـ حقيقته، وضوابطه، وآثاره

أ. أمانـــي شعبان عبد الله بشـّـــون*
طالبة بمرحلة الدكتوراه بكليّة الشريعة- الزاوية، وعضو هيئة تدريس ، كلية التربية – ناصر، جامعة الزاوية ، ليبيا
a.bashoun@zu.edu.ly

تاريخ الاستلام 3/21 / 2026م تاريخ القبول 27 / 4 / 2026م

Having Good Assumptions of God: Its Reality, Guidelines, and Effects

A. Amani Shaaban Abdullah Bashoun
PhD student at the Faculty of Sharia - Azawiya, and a faculty member at the College of Education - Nasser, University of Azawiya

Abstract:
This research addresses the topic of having good thoughts about God and seeks to establish its legal concept and clarify its status in Islamic belief as an obligatory act of worship of the heart. The research aims to clarify the legal criteria that distinguish true good thoughts from arrogance and feeling secure from God's plan,the most important of wish is its association with righteous deeds and its foundation on knowledge of God's names and attributes. The research also analyzes the profound effects of having good thoughts about God, which include strengthening faith and reliance, achieving psychological tranquility and patience in times of hardship, and motivating the servant to strive in acts of obedience. The research concludes that taking care to cultivate this noble act of worship is the most upright way to build a balanced, faithful personality capable of facing challenges with steadfastness and certainty.

الملخـــص:

يتناول هذا البحث موضوع " حسن الظنّ بالله " ويسعى إلى تأصيل مفهومه الشرعي، وبيان منزلته في العقيدة الإسلاميّة باعتباره عبادة قلبيّة واجبة، يهدف البحث

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

إلى تحرير الضوابط الشرعيّة التي تميّز حسن الظنّ الحقيقي من الغرور والأمن من مكر الله، وأهمها اقترانه بالعمل الصالح، وتأسيسه على العلم بأسماء الله وصفاته، كما يستعرض البحث بالتحليل الآثار العميقة لحسن الظن بالله والتي تشمل تعزيز الإيمان والتوكل، وتحقيق الطمأنينة النفسيّة والصبر عند البلاء، ودفع العبد للاجتهاد في الطاعات، وقد خلص البحث إلى أنّ العناية بتربية النفس على هذه العبادة الجليلة هي السبيل الأقوم لبناء شخصيّة إيمانيّة متوازنة قادرة على مواجهة التحديّات بثبات ويقين.

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل الإيمان به أساساً لطمأنينة القلوب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي ربّى أصحابه على حسن الظنّ بالله، وغرس في نفوسهم الثقة بوعده والرجاء في رحمته، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أما بعد :

فإن من أعظم وأسمى العبادات القلبيّة التي دعا إليها الإسلام، والتي تمثّل جوهر العلاقة بين العبد وربّه عبادة" حسن الظنّ بالله – تعالى –"، وهي عبادة تمثّل منهج حياة متكامل يعكس يقين العبد بكمال أسماء الله وصفاته، وثقته المطلقة في عدله وحكمته ورحمته، في زمن كثرت فيه الفتن والابتلاءات تبرز الحاجة الماسّة إلى هذه العبادة الجليلة لتكون طوق نجاة للنفوس من اليأس والقنوط، وسلاحاً للقلوب لمواجهة الشدائد بالرضا والثبات.

وقد جاءت نصوص الوحيين لتؤكد هذا المعنى وترسّخه، قال تعالى في ذمّ الظّانين به ظنّ السوء: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ الفتـــح/6، ويقـول الرســـول - صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربّه: (**أنا عند ظن عبدي بي**)[1].

إشكالية البحث وتساؤلاته:

يثير موضوع (حسن الظنّ بالله) تساؤلات منهجية تحتاج إلى تحرير:

-هل حسن الظنّ بالله عبادة قلبيّة واجبة أم مندوبة؟

-كيف نفرّق بين حسن الظنّ المشروع الذي يدفع إلى العمل الصالح، وبين الاغترار والأمن من مكر الله؟

-وما الآثار المترتبة على هذا التمييز في بناء الشخصيّة الإيمانية المتوازنة؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

ـ تأصيل مفهوم حسن الظنّ بالله تعالى من الناحية الشرعيّة واللغويّة.

ـ بيان منزلة حسن الظنّ بالله في منظومة العقيدة الإسلاميّة.

ـ بيان ضوابط حسن الظنّ بالله وتمييزه عن الغرور والأمن من مكر الله.

ـ إبراز الآثار الإيمانيّة والسلوكيّة لحسن الظنّ بالله.

ـ بيان أثره في السلوك والأخلاق.

أهمية الموضوع، وسبب اختياره :

تنبع أهميّة هذا من كونه يعالج ركيزة أساسيّة في بناء الإيمان الراسخ والنفس المطمئنّة، خاصّة في أوقات الأزمات والابتلاءات التي تكشف عن مدى يقين العبد، كما أنّ لدراسته أثراً بالغاً في ضبط السلوك والأخلاق، وتحصين المجتمع من آفات اليأس والتشاؤم وسوء الظنّ بالله وبالنّاس.

وقد دفعني لاختياره ما رأيته من شيوع فهم غير منضبط لهذا المفهوم لدى بعض المسلمين، حيث يخلطون بين الرجاء المشروع والاتّكال المذموم، ممّا كان له آثاره السلبيّة على سلوكهم.

المنهج المتّبع في هذا البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث اتّباع المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتّبع النصوص الشرعيّة من القرآن والسنّة، وتحليل أقوال العلماء والمفسرين، وربطها بالجوانب الإيمانية والسلوكية للمسلم.

الدّراسات السابقة:

اهتمّ العديد من الباحثين بدراسة موضوع حسن الظنّ بالله، ويمكن تصنيف أبرز هذه الدّراسات إلى ثلاثة اتّجاهات:

ـ الاتجاه الأوّل: الدّراسات التفسيريّة الموضوعيّة، وأبرزها رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنيّة- فلسطين، بعنوان: "حسن الظنّ بالله في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعيّة"، لانشراح حسني علي أبو صفا (نشرت عام 2019م)، وقد هدفت هذه الدّراسة إلى بيان مفهوم حسن الظنّ في القرآن، والكشف عن دلالاته العقدية والتربوية، مع استقراء مواضعه في القرآن الكريم وتحليلها في ضوء كتب التفسير.

ـ الاتجاه الثاني: الدراسات النفسيّة الإيمانيّة، كدراسة د.خالد بن عبد الرحمن الشايع (نشرت عام 2018م) حول "حسن الظن بالله وأثره في تحقيق الأمن النفسي" منشورة

في مجلّة جامعة الإمام، والتي ركزت على الجانب العلاجي والتطبيقي لحسن الظنّ.

ـ الاتجاه الثالث: الدّراسات الكلاميّة الفلسفيّة، كبحث شيخ الأزهر السابق د.أحمد الطيب (نشرت عام 2010م) حول: "مفهوم حسن الظنّ بالله عند المتكلمين والصوفيّة" الصادرة في مجلّة الأزهر الشريف.

على الرغم من القيمة العلميّة لهذه الدّراسات، إلّا أنّها تحمل عدّة قصور دعت إلى إجراء البحث الحالي:

ـ وتعدّ دراسة أبو صفا من أقرب الدّراسات إلى موضوع البحث الحالي؛ إذ اعتمدت المنهج الموضوعي في جمع الآيات وتصنيفها وتفسيرها، إلّا أنّها دراسة وصفيّة تحليليّة، ولم تضع ضوابط عمليّة دقيقة للتمييز بين حسن الظنّ المشروع والمذموم.

ـ بينما دراسة الشايع ـ فرغم ابتكارها في ربط حسن الظنّ بالله بالصحّة النفسيّة – إلّا أنّها عالجت الموضوع من زاوية نفسيّة بحتة، دون تأصيل شرعي وافٍ لمفهوم حسن الظنّ، ممّا قد يؤدي إلى فهم غير دقيق للمصطلح في سياقه الإسلامي.

ـ أمّا دراسة الطيب فكانت فلسفيّة كلاميّة تناولت آراء الفرق المختلفة، ولم تقدّم فائدة عمليّة يحتاجها المسلم في حياته اليوميّة.

ومن خلال استقراء الدّراسات السابقة يتبين أن موضوع حسن الظنّ بالله قد تناولته البحوث من زوايا متعددة، إلّا أنّ جانب الضوابط الشرعية والآثار السلوكيّة لم يبحث بصورة مستقلة تجمع بين التأصيل الشرعي والتطبيق العملي، ومن هنا تأتي أهميّة البحث الحالي في محاولة بناء تصوّر متكامل يجمع بين التأصيل والضوابط والآثار السلوكيّة.

هيكلية البحث :

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدّمة ، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

المبحث الأول : مفهوم حسن الظنّ بالله، وأهميته. والمبحث الثاني: ضوابط حسن الظنّ بالله . والمبحث الثالث: آثار حسن الظنّ بالله .

المبحث الأول ـ مفهوم حسن الظنّ بالله وأهميته :

يعدّ تحديد مفهوم حسن الظنّ بالله من المسائل الهامّة التي ينبني عليها الفهم الصحيح، إذ أنّ التصوّر الدقيق لمعناه اللغوي والاصطلاحي يسهم في الكشف عن حقيقته الشرعيّة، لذلك كان من المناسب البدء ببيان معناه لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول ـ تعريف حسن الظنّ لغة واصطلاحاً :

أولاً ـ المفهوم اللغوي للظـــــنّ:

يعدّ "الظنّ" من الألفاظ التي تحمل في اللغة العربيّة دلالات متقابلة، وقد فصّلت المعاجم اللغويّة معانيه على النحو الآتي:

عند ابن فارس: يرى أن مادة (ظ، ن، ن) أصل يدل على معنيين متباينين، هما:

1- اليقـــين: كما في قول القائل ظننت ظنّاً، أي: أيقنت، ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ**﴾البقرة/249، أي: يستيقنون لقاءه.

2- الشـــك: ويراد به التردد أو التخمين، ومنه قولهم (فلان مظنة كذا) أي: يحتمل فيه ذلك. [2]

وأشار ابن منظور إلى أنّ مفهوم الظنّ يشـــمل الشك واليقين، موضّحاً أنّ اليقين المستفاد من الظنّ غالباً ما يكون يقين تدبّر واستدلال، لا يقين عيان. [3]

مفهوم الظن في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء للظنّ في الاصطلاح، ومن أبرزها:

تعريف الجرجانـــــي، بأنّه "الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك وقيل : الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان "[4]، وتعريف الراغب الأصفهاني: بأنّه : " اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّا لم يتجاوز حدّ التّوهّم"[5].

واصطلاحاً :مَعْنَى حُسْن الظَّنّ بِاَللَّهِ –تَعَالَـــى - .

عـــرّفه النووي:"أَنْ يَظُـــنّ أَنَّهُ يَرْحَمهُ وَيَعْفُو عَنْـــهُ"[6].قال النووي: "ومعنى يحسن الظن بالله تعالي أن يظن أن الله تعالي يرحمه ويرجوا ذلك ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله - سبحانه وتعالى- وعفوه ورحمته وما وعد به أهل التوحيد وما ينشـره من الرحمة لهم يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى في الحديث الصحيح " **أنا عند ظن عبدى بى** " هذا هو الصواب في معنى الحديث وهو الذى قاله جمهور العلماء وشذ الخطابي فذكر معه تأويلا آخر أن معناه أحسنوا أعمالكم حتى يحسن ظنكم بربكم فمن حسن عمله حسن ظنه"[7]

ويلاحظ على التعريفات السابقة أنّها ركزت على جانب الرجاء وتوقع الرحمة والمغفرة، دون إبراز أثره العملي في سلوك العبد؛ إذ أنّ حسن الظنّ الحقيقي لا يقتصر على التمنّي، بل يثمر حسن التوكل والعمل الصالح والأخذ بالأسباب، وبهذا يمكن تعريف حسن الظنّ بالله بأنّه: اعتقاد جازم بكمال رحمة الله وحكمته وعدله، يدفع العبد

لتوقع الخير من ربّه في كلّ أحواله، ويظهر أثره في قوّة التوكل على الله والاستعانة به، مع ملازمة العمل الصالح واليقين بالإجابة.

المطلب الثانـــي ـ منزلة حسن الظنّ بالله في العقيدة.

لا يعدّ حسن الظنّ بالله مجرد فضيلة أخلاقيّة بل هو" واجبٌ من واجبات التّوحيد"[8]، وركن في صحّة الإيمان، بل إنّ سوء الظنّ بالله قرين بالشرك والنّفاق كما دلت عليه الآية السابقة من سورة الفتح، وتتجلى عظمته في كونه عبادة قلبيّة ترتبط باسم الله "الرحمن" و"الغفور" و"اللطيف" و"الحكيم"، فلا يتحقق كمال الإيمان إلّا بمعرفة العبد لهذه الأسماء ومعايشته آثارها في حياته.

المطلب الثالث ـ من أهمّ مظاهر حسن الظنّ بالله تعالى:

عند الدعاء : يتجلى حسن الظنّ بالله في العزم في المسألة واليقين بالإجابة تصديقاً لقوله –تعالى - : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ سورة غافر، من الآية 60، وامتثالاً لقول المصطفى – صلى الله عليه وسلم- :"**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**)[9] المصطفى – صلى الله عليه وسلم -: (**إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء أعطاه**)[10]، قال النووي: " فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه قال العلماء عزم المسألة الشدة في طلبها والحزم من غير ضعف في الطلب ولا تعليق على مشيئة ونحوها وقيل هو حسن الظن بالله تعالى في الإجابة ومعنى الحديث استحباب الجزم في الطلب وكراهة التعليق على المشيئة "[11].

عند التوبة والاستغفار: إن من أهمّ مظاهر حسن الظنّ بالله أن يتيقن العبد قبول توبته – إذا استوفت شروطها من الإقلاع عن الذنب والندم والعزم على عدم العودة إليه، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى:﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾الزمر/53، فهذه "الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر"[12]، وهذا ما يعزّز معنى حسن الظن بالله، وعدم اليأس من رحمته.

ويظهر هذا المعنى -أيضاً - في قوله - تعالى- :﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ الفرقان/70، وقد قال الســـعدي في تفسير هذه الآية: "فيتبدل شركهم إيمانا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية "[13]، وهذا التحول من السيئات إلى الحسنات يعكس بعداً تربويّاً عميقاً

في بناء حسن الظن بالله، حيث لا يقتصر أثره على إزالة الخوف، بل يتعداه إلى تحفيز العبد على المبادرة بالتوبة والعمل الصالح.

في ساعات الاحتضار: لقول المصطفى – صلى الله عليه وسلم - : (**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل)**[14]، قال العلماء "هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة"[15]، و في رواية أخرى عَنْ جَابِرٍ- رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ ، إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ ، فَإِنَّ قَوْماً قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**).[16]

وحســـن الظنّ بالله يكون عند الموت أرجى وأشدّ من غيره، وذلك أنّ الإنسان في حالة الصحة يكون خائفاً راجيّاً ويكونان سواء، وقيل يكون الخوف أرجح؛ لأن المسلم في هذه الحال لديه القدرة على العمل الصالح والإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي والقبائح، أمّا عند الموت فيكون الرجاء أشدّ وحسن الظن بالله المتضمن للافتقار أدعى؛ لأن الإنسان في حال الموت يتعذر عليه العمل الصالح أو معظمه.[17]

كما يتجلى حسن الظن بالله في سائر حياة المسلم، وخصوصاً في أقواله وما يصدر عنه من تعبيرات تعكس رجاءه في الله، ومن ذلك ما ورد في قول المصطفى – صلى الله عليه وسلم- : "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل"قالوا: وما الفأل؟ قال:"الكلمة الطيّبة "[18]، فالكلمة الحسنة وما تحمله من معاني التفاؤل تعدّ من أبرز مظاهر حسن الظنّ بالله، لما تشتمل عليه من استحضار الخير وتوقع الفضل من الله، وهو ما ينبغي أن يكون حاضراً في مختلف مجالات حياة المسلم وسلوكه اليومي.

المطلب الثانـــــي ـ أهمية حسن الظنّ بالله :

وتبرز أهميّة حسن الظنّ بالله في عدد من الجوانب العقديّة والتربويّة، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً ـ أنّ حسن الظن بالله من مقتضيات كمال التوحيد:

يعدّ حسن الظنّ بالله من أجلّ ثمرات معرفة الله، ومن أبرز تجليات كمال التوحيد، إذ ينبثــق عن معرفة العبد بربّه معرفة صحيحة قائمة على الإيمان بأسمائه وصفاته، وما يقتضيه ذلك من اليقين برحمته وحكمته وعدله، فكلّما ترسّخت هذه المعرفة في قلب المؤمن، أورثته حسن الظنّ بربّه، والثّقة بوعده، والرجاء فيما عنده، وهو ما يعدّ من أجلّ العبادات القلبيّة وأعظمها أثراً في تزكية النفس. وعلى النقيض من ذلك ، فإنّ سوء الظنّ بالله يتنافى مع حقيقة التوحيد، وقد ذمّه الله تعالى ونسبه إلى المنافقين والمشركين، حيث قال: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ**

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ الفتـح، الآية 6، وظـــنّ السوء "أي: يتهمون الله فيحكمه، ويظنون بالرسول–صلى الله عليه وسلم-وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكليـــة"[19]، وقد أشار المفسرون، ومنهم عبد الرحمن بن ناصر السعدي إلى أنّ هذا الظنّ ناشئ عن جهل بحقائق الألوهية، حيث يظنّ أصحابه أن لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، فجاءت عاقبتهم موافقة لظنونهم، فدارت عليهم دائرة السوء في الدنيا والآخرة [20].

وبهذا يتبيّن أنّ حسن الظنّ بالله أصل عقديّ راسخ، ومظهر من مظاهر تحقيق التوحيد في حياة المسلم.

ثانياً ـ حسن الظـــنّ بالله يورث الطمأنينة القلبيـــة:

إنّ حسن الظن بالله يجعل النفس مطمئنة، فعندما يتيقن الإنسان أنّ الأمر كله لله، وأنّ الأمّة لو اجتمعت على أن تنفعنا بشيء لن تنفعنا إلاّ بشيء قد كتبه الله لنا، ولو اجتمعت على أن يضرونا بشيء لن يضرونا إلّا بشيء قد كتبه الله علينا، وهذا المعنى قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** التغابن/11، ويهدي قلبه هنا: "يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ"[21].

فحسن الظنّ بالله، والثقة برحمته وحكمته يمنح المؤمن توازناً بين الخوف والرجاء، كما له وظيفة مركزيّة في البناء النفسي والإيماني للمسلم، حيث يجعل من الإيمان بالقضاء والقدر قوّة نفسيّة ضابطة للسلوك، تثمر الثبات، وتمنح المسلم القدرة على مواجهة الأزمات بثقة ورضا، وهو ما يجعل الطمأنينة القلبيّة أثراً مباشراً لهذا الأصل الإيماني.

ثالثاً ـ حسن الظن بالله يدفع إلى العمل الصـــالح:

إنّ حسن الظنّ بالله قائم على اعتقاد كمال رحمته، وسعة مغفرته، وصدق وعده لعباده، وهذا الاعتقاد يولّد في النفس دافعاً قويّا للعمل؛ لأنّ العبد إذا أيقن أنّ الله يجزي على القليل بالكثير، ويعظّم الثواب للحسنات، نشط قلبه وجوارحه، وممّا يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾** النمل/89، وقوله –عزّ وجلّ-: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**الأنعام/160،فإذا استقرّ في قلب العبد حسن الظنّ بالله بأنّه يقبل عمله ويثيبه بالكثير على القليل، حثّه ذلك على المسارعة في الخيرات، ومن هذه الأعمال الصدّقة فعندما يحسن العبد ظنّه بالله بأنه ينمي له صدقته، حثّه ذلك على الإنفاق، ففي حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم-: (**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمنيه وإن كانت تمرة تربو في كف**

الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)[22]، وحسن الظنّ بالله يشترط فيه أن يقترن بالعمل الصالح، قال ابن القيم: **"وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ"**[23].

وبهذا يتبيّن أنّ حسن الظنّ بالله هو من أهمّ الدوافع للعمل الصالح، فكلما زاد العبد حسن ظنّ بربّه، ازداد عمله الصالح، تحقيقاً لمعنى العبوديّة، وجمعاً بين رجاء رحمة الله، والسعي لها.

وبعد أن وقفنا على منزلة حسن الظنّ وأهميته ومظاهره، لابدّ من التنبيه إلى أنّ هذا المفهوم قد ينحرف في أذهان بعض النّاس، فيظنّون أنّ حسن الظنّ يعني الأمن من مكر الله والتواكل دون عمل، لذا جاء المبحث التالي ليبيّن الضوابط الشرعية التي تضبط هذه العبادة من الانحراف.

المبحث الثانـــــي ـ ضوابط حسن الظنّ بالله :

إنّ حسن الظنّ بالله من أعظم الأعمال القلبيّة، ومن أجلّ مراتب الإيمان التي تورث طمأنينة القلوب، غير أنّ حسن الظنّ ليس مطلقاً بلا قيود، بل له ضوابط شرعيّة تمنع من الانحراف أو الأمن من مكر الله، ومن أهمّ هذه الضوابط ما يلي:

أولا ـ أن يكون مبنيّا على علم بالعقيدة الصحيحة، وعلم بأسماء الله وصفاته:

إنّ حسن الظنّ بالله يجب أن يكون مبنيّاً على العلم بالعقيدة الصحيحة، وبالمعرفة الدقيقة لأسماء الله وصفاته، فلا يُتصوّر تحقق هذا الحسن على وجهه المشروع إلّا إذا تأسس على إدراك علمي لحقيقة الإيمان كما تقررها العقيدة الإسلاميّة.

ثانيّاً ـ أن يكون حسن الظن مقروناً بالعمل الصالح:

"عليه أن يحسن الظن بالله بأن يرجوَ مغفرتهَ وعفوَه ، ولا ييأس من رحمته لكن لا يركن إلى حسن الظن وهو منغمس في الشهوات وغارق في المخالفات ظالم لنفسه مخالف أوامر ربه . بل يلزم سبيل الرشاد متذكرا قول الله تعالى : ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ النحل/119، فمن فعل ذلك ثم أحسن الظن بالله فقد أحسن إلى نفسه وسَعِد سعادة أبدية ووضع الرجاء موضعَه . وأما ظن المغفرة والعفو مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرور"[24]

ثالثاً ـ أن لا يؤدي حسن الظن إلى الأمن من مكر الله:

يجب أن يظلّ حسن الظن بالله متوازناً مع الخوف منه، فهو لا يعني الغفلة عن عقابه، ولا الجرأة على معصيته، ولا يؤدي إلى الشعور بالأمان المطلق من عذابه، بل

يقوم على الموازنة بين الرجاء والخوف، فالمؤمن يحسن الظن بربّه مع دوام الخشيّة من التقصير وسوء العاقبة، ولذلك نهى القرآن الكريم عن الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿**فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/99.

وقد بيّن المفسّرون أنّ المقصود بمكر الله: أخذه للعاصين على حين غفلة منهم مع إمهالهم واستدراجهم[25]،قال ابن كثـير: "بَأْسَهُ وَنِقْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ وَأَخْذَهُ إِيَّاهُمْ فِي حَالِ سَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ "[26]، ومن هنا كان حسن الظنّ الصحيح باعثاً على الطاعة والاجتهاد في العبادة، لا سبباً للاتّكال وترك العمل؛ لأنّ المؤمن يجمع بين رجاء رحمة الله والخوف من عقابه، مبتعداً عن أسباب الغرور والأمن من مكر الله.

رابعاً ـ أن يحسن الظن بالله مع التمسك بفعل الأسباب ما أمكن:

وفي ذلك يقول الله –تعالـــى - :﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾آل عمران/165، وقد نزلت هـــذه الآيات عقب غزوة أحد، حيث بيّن المفسّرون أنّ المراد بها توجيه المؤمنين إلى محاسبة أنفسهم عند وقوع الهزيمة، إذ ما أصابهم كان نتيجة مخالفة الأسباب المأمور بها ، فقد جاء في تفسير السعدي "﴿**قلتم أنى هذا**﴾ أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ ﴿**قل هو من عند أنفسكم**﴾ حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية" [27].

كما ختمت الآية بقوله ـ تعالى- :﴿ **إن الله على كل شيء قدير**﴾ تنبيهاً إلى أنّ قدرة الله شاملة، فهو قادر على نصركم، غير أنّ حكمته اقتضت وقوع الابتلاء، ليكون ذلك تذكيراً بوجوب إحسان الظنّ بالله، مع الأخذ بجميع الأسباب المشروعة وعدم إهمالها[28].

يتبين من خلال ما سبق أنّ حسن الظنّ بالله أصل عقدي متكامل، تترتب عليه آثار إيمانية وسلوكيّة عميقة؛ فهو يحفظ العقيدة من الانحراف، ويورث الطمأنينة، ويحفّز على العمل الصالح، ويمنع من اليأس والقنوط، مما يجعل حسن الظن بالله أساس في بناء الشخصيّة الإيمانيّة المتوازنة.

المبحث الثالث ـ آثار حسن الظنّ بالله:

لمّا كان حسن الظنّ بالله من أجلّ أعمال القلوب التي تنعكس آثارها على قلب المؤمن وسلوكه، كان من المهمّ بيان أبرز الآثار المترتبة عليه، وفي مقدّمتها أثره في تقوية الإيمان وترسيخه في النفس.

المطلب الأوّل ـ أثر حسن الظنّ بالله في تقويّة الإيمان:

يعدّ إحسان الظنّ بالله –تعالى- من المقامات القلبيّة العظيمة التي ترســـخ الإيمان

وتقوّي التوكل؛ إذ يقوم على اعتقاد كمال رحمة الله وعدله، واليقين بحسن تدبيره، والثقة بوعده.

وهذا الاعتقاد ينعكس مباشرة على سلوك المؤمن وثباته، فيزداد إيماناً وتوكلاً على الله –عز وجل - ، ومن أهم آثار حسن الظن في تقوية الإيمان ما يلي:

أولاً ـ بعث الرجاء ودفع اليأس والقنوط:

فحســـن الظنّ بالله يورث الرجاء في رحمته، والرّجاء من أعظم أعمال القلوب التي تقوي الإيمان، لأن المؤمن يرجو قبول عمله ومغفرة ذنبه، فيقبل على الطاعات ويبتعد عن المعاصي، قال - تعالى- : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ البقرة/218.

وحسن الظن بالله يجعل العبد يتيقن أنّ فضل الله ورحمته أكبر من ذنوب العباد وآثامهم، وأنّ اليأس والقنوط ينافي كمال الإيمان، قال –تعالى- : ﴿ **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ يوسف/87، أمّا حسن الظنّ به فيورث العبد رجاءً دائماً يدفعه إلى التوبة والعمل الصالح وعدم الاستسلام والقنوط.

ومن آثار حسن الظنّ بالله أنّ المؤمن يبقى متفائلاً برحمة الله، قويّ الأمل في فرجه، بعيداً عن الاضطراب النفسي واليأس، ممّا يعينه على مواصلة السير إلى الله مهما كثرت العقبات والابتلاءات.

ثانيّاً ـ الطمأنينة والثبات عند الابتلاء:

لأنّ المؤمن الذي يحسن الظنّ بالله يتيقن أنّ ما يقدّره الله هو الخير فكما قال المصطفى – صلى الله عليه وسلم - : (**عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن : إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ**)[29]، ويستحضر قوله تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/216، كما يستحضر ما روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -، حيث قال: " قدم على النبي - صلى الله عليه و سلم - سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه و سلم (أترون هذه طارحة ولدها في النار" قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : **"الله أرحم بعباده من هذه بولدها**) "[30].

المطلب الثاني ـ أثر حسن الظنّ بالله في التوكل:

إنّ أثــر حسن الظنّ بالله في تقوية التوكل فيتمثّل في تحقيق الاعتماد القلبي على الله؛ لأن حقيقة التوكل هو اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، وإحسان الظنّ

أساس هذا الاعتماد؛ لأنّ من حسن ظنّه بربّه وثق بحسن تدبيره وفوّض الأمر إليه، كما تورث الطمأنينة عند اتّخاذ الأسباب، فالمتوكل الذي يحسن الظنّ بالله يعمل بالأسباب دون اضطراب؛ لأنّه يعتقد أنّ النتائج بيد الله فيكون قلبه ساكناً غير متعلق بالأسباب وحدها، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ المائدة/23، وفي هذا يقول ابن القيم: "أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه "[31]

المطلب الثالث ـ أثر حســـن الظـــنّ بالله على السلوك:

يعدّ حسن الظنّ بالله من أهمّ لوازم الإيمان التي تنعكس آثارها بوضوح على سلوك المسلم وأفعاله؛ إذ يثمر إقبالاً صادقاً على الطاعات مقروناً برجاء القبول من الله تعالى، وهو ما يعزّز دافعية العبد للاستمرار في العبادة بإخلاص وثبات، كما يفضي إلى ترســـيخ معاني الكرم والعطاء في نفس المؤمن، وتحريره من آفات الشحّ والبخل، بما يدلّ على سموّ النفس وارتقائها، ومن آثاره - أيضاً – ما يظهر على سلوك المسلم من تقرّب إلى الله بالصدقات، حيث يتعلق قلبه برجاء فضله، ويثق بوعده في الخلف والعوض، فيدفعه ذلك إلى البدل بسخاء وطمأنينة نفسه، متيقناً بقوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ البقرة/261.

كما أنّ من آثار حسن الظن بالله على السلوك زيادة الشجاعة والثبات، ومنها في المواطن التي تتطلب صبراً ومجاهدة، إذ يستمدّ العبد يقينه من ثقته بوعد الله ونصره، فيقبل على المواقف الصعبة بروح مطمئنة، كما يؤدي إلى اجتناب المعاصي والبعد عن السلوكيّات المنحرّفة، لما يورثه من مراقبة الله تعالى ورجاء في رحمته وخوف من سخطه.

ومن الآثار الاجتماعيّة المترتبة عليه أن يحسن العبد الظنّ بالنّاس، فيحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل، ممّا يسهم في إشاعة روح الألفة والتراحم داخل المجتمع، ويعزّز القيم الأخلاقيّة الرفيعة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد جال بنا هذا البحث في رحاب عبادة عظيمة هي" حسن الظنّ بالله، وخلصنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إيجازها في الآتي:

1- حسن الظن بالله من لوازم الإيمان الواجبة على الراجح، وهو مرتبط بمعرفة العبد ربّه وأسمائه وصفاته.

2- حسن الظنّ بالله من أعظم أسباب تقوية الإيمان؛ لأنّه يرسخ اليقين ويحقق الطمأنينة في القلب.

3- التوكل الصحيح لا يتحقق إلّا بحسن الظنّ بالله؛ لأنّه يولّد الاعتماد القلبي على الله مع الأخذ بالأسباب.

4- اشترط البحث ضوابط لضبط مفهوم حسن الظن، أبرزها: الاقتران بالعمل الصالح، والبناء على العلم بأسماء الله، وفعل الأسباب، وعدم الأمن من مكر الله.

5- للالتزام بهذه الضوابط آثار إيمانيّة ونفسيّة وسلوكيّة، منها: دفع اليأس، والصبر عند الابتلاء، والإقبال على الطاعات، وحسن الظنّ بالنّاس.

6- إن حسن الظنّ بالله يؤثر في سلوك المسلم في جميع جوانب حياته، كما يساعده على تحقيق الاستقامة العمليّة.

وفي الختام نسأل الله – عزّ وجلّ – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به في الدّنيا والآخرة.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش:

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى:﴿**ويحذّركم الله نفسه**﴾، برقم [7405].

[2]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.2، 1969، 462/3.

[3]- ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط.1، 272/13.

[4]- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط.1، 1405 هـ، ص 187.

[5]- المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى،تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط.1412،1 هـ، ص 539.

[6]-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط.2، 1392، 210/17.

[7]- المجموع شرح المهذّب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،108/5.

[8]- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط.3، 2002 م، 247/2 .
[9]- أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في العزم في الدّعاء، برقم[3479].
10- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر، باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، برقم: [2679].
11- المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، أبو زكرياء يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط.2، 1392هـ ، 7/17.
12- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ ، 106/7.
13- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط.1، 2000م، ص 587.
14- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، 2206/4 ، برقم [2877].
15- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
ط.2 ، 1392، 209/17.
16- أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم [2877].
17- ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، 210/17 .
18- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الفأل، برقم [5776].
19-تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ] ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط.2 ، 1420هـ - 1999 م ، ج 7 ، ص 329 .
20ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط .1 ، 1420هـ -2000 م ، ج1 ، ص791 .
21- - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 137/8.
22- أخرجه الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، برقم [661]، وصححه الألباني، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه، والفلو : المُهْر الصغير إذا فطم.
23-الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، دار المعرفة ، د.ط، 1418هـ / 1997م، ص 26.
24- الدين الخالص(إرشاد الخلق إلى دين الحق) ، محمود محمد خطاب السّبكى، تحقيق: أمين محمود خطاب ،ط.3 ،1401هـ - 1980م .
25- ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت
ط.1 - 1414 هـ،260/2.
26- تفسير القرآن العظيم، 451/3.
27 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ /2000م، ص 156.
28- ينظر: المصدر نفسه.
29- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله له خير، برقم [2999].
30- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم [5653]

31- مدارج السالكين، ابن القيم، 121/2.